شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

The Arab poet Abd AL-Muhssin AL-Kadhmi and his patriotic, Political stances

م.م. عباس جعفر كاظم [1] Asst.Inst. Abbas J. Kadhim

ملخص البحث

ان تنمية الروح الوطنية يعد احد اهداف تدريس مادة الادب على مستوى المرحلة الثانوية ويهدف البحث الى التعريف بالمواقف الوطنية والسياسية للاديب العراقي الشاعر عبد المحسن الكاظمي.

ومن خلال شعر الشاعر يمكن التعرف على نموذج من الشعراء الوطنيين في الادب العراقي الحديث وذلك لكي يسهل استيعاب مفهوم الوطنية المتوازنة البعيدة عن التطرف والتعصب وكذلك رفع روح الوطنية القائمة على التجربة الواقعية التي عاشها ادباء عراقيون حملوا هم الوطن بصدق وامانة.

فجاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وقد أحاط التمهيد بشيء من حياته وسيرته فجاء المبحث الأول عن المعاني الوطنية في شعر الكاظمي، وتناول المبحث الثاني موقفه من الدولة العثمانية أما المبحث الثالث فتناول مواقفه من الاحتلال البريطاني والثورة العربية.

فالبحث يعالج موضوعا مهما في الحياة الانسانية بشكل عام وفي شعر الاديب العراقي عبد المحسن الكاظمي بشكل خاص الا وهو الموقف الوطني والسياسي للشاعر.

Abstract

Developing of nationalist spirit is considered as one of the goals of literature education on secondary level, the research aims to identify national and political statuses of the Iraqi author the poet Abdulmohsin Al-Kadhmi.

١- المديرية العامة لتربية كربلاء.

Through the poetry of the poet, identifying of nationalist poets in the modern Iraqi literature could be done in order to facilitate the comprehension of balanced nationalism concept away from extremism and bigotry as well raising of standing nationalist spirit above realist experiment which Iraqi authors lived, those who carried the concern of nation honestly and truthfully .

Research has come into three topics, preface has come mentioned some of his life and biography, first topic has contained national meanings in Al-Kadhimi poetry, second topic has dealt with his status of the ottoman state, while the third topic has dealt with the British occupation and the Arabian revolution.

The research is treating an important issue in the humanitarian life in general and in the poetry of the Iraqi author the poet Abdulmohsin Al-Kadhmi in particular, which is the poet's national and political status.

المقدمة

الوطنية هي حب الوطن والتعلق به والاخلاص والتضحية من اجله وهي كذلك مصطلح يستخدم للدلالة على المواقف الايجابية والمؤيدة للوطن من قبل الافراد والجماعات. وان مفردتي (وطنية) و(وطن) كليهما تشيران الى الانتماء السياسي.

والوطنية عامل انساني ايجابي مشروط بعدم التعصب والتطرف الذي يعزل شعباً ما عن محيطة الاقليمي والعالمي. والشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي نموذج واقعي فهو يمتلك شعوراً وطنياً معبراً عن حب العراق في كل الاحوال والظروف اذ انه كان يحب العراق ويخلص له ويضحي من اجله ويعمل على نصرته ويدعو الى استقلال بلاده.

ونلحظ ذلك جليا من خلال ادبياته وخاصة شعره الوطني الحماسي في ذكر العراق وتمجيده والدفاع عن قضاياه.

وان استقراء شعره يكشف ارتباطه الوثيق بوطنه العراق الا انه لم يكن متطرفا ولا متعصبا في وطنيته وانما كان يمتلك نزعة وطنية منفتحة على بلاد المشرق عموما ولاسيما البلاد العربية وهذا ماتكشفه المواقف السياسية التي يبوح بها عبر نصوصه الشعرية.

والموضوع يخدم حالة تربوية يجب ان يرتقي لها الشاب العراقي في ظرف صعب يدعونا الى ايجاد امثلة تاريخية حية سهلة التقليد علها تسهم في بناء الشخصية الوطنية عند بعض الشباب ممن هم بحاجة ماسة لمثل هذه المفاهيم.

وسيعالج البحث الشعر السياسي الوطني عند شاعر (البداهة والارتجال) الأديب عبد المحسن الكاظمي.

http://abu.edu.iq

والكاظمي (شاعر العرب) هو لقب فخم ضخم لم يطلق عليه عبثا إنما كان الرجل جديراً وأهلاً له، وشعره يشهد له بذلك.

فكان الكاظمي مع العراق ضد الأتراك العثمانيين ومع العراق ضد الاحتلال البريطاني وهذا ما تناوله البحث.

وقد اعتمد البحث مصادر أساسية مثل ديوان الشاعر المطبوع عدة طبعات، طبعة دمشق، وطبعة مصر، وطبعة دار الحكمة في لندن، وان الطبعة الأخيرة من الديوان هي الأكثر اعتمادا في توثيق النصوص الشعرية. وكانت رسالة الدكتوراه للأستاذ (رؤوف الواعظ)، ورسالة الدكتوراه للأستاذ (محسن غياض) خير مصدر اعتمده البحث في استقصاء مادته، ومصادر أخرى وردت في القائمة، والحمد لله رب العالمين.

كما أود أن أشكر العاملين على إدارة مكتبة العتبة الحسينية والعباسية وكذلك الشكر موصول إلى القائمين على شعبة البحث والتطوير في مديرية تربية كربلاء المقدسة.

تمهيد

عبد المحسن بن محمد بن الحاج علي بن محسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النجفي، ينتهي نسبه لأبيه إلى قبيلة نخع اليمانية وينتهي نسبه لأمه زينب مهدي الزركش الملقب بـ (البير) إلى الشريف الرضي. ولد ببغداد يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان سنة ١٢٧٨هـ الموافق لليلة بقيت من تشرين الأول سنة ١٨٧١م ونشأ في دار والده بالكاظمية [٢].

تعلم الشيخ عبد المحسن الكاظمي مبادئ القراءة والكتابة وتعلم اللغة الفارسية بجانب العربية ودرس في الحلقات الدينية في الكاظمية والنجف وترعرع بين أحضان أسرة عرفت بالأدب والعلم. والكاظمي كان شاعرا قد درج بين بيئات الأدب وحلقات الأدباء ودرس العلوم الإسلامية كما اطلع على الآداب الفارسية وأول ما نظم الغزل فالرثاء فالفخر. فنشأ شاعرا مجيدا يقول عنه السيد عز الدين آل ياسين (كان يملي شعره عن طبع وافق ووحي حاضر وبديهة مستعدة وروح قوية وقريحة متحفزة وله في الشعر نفس طويل يعود إلى كثرة ما كان مختزنا في حافظته من شعر العرب) [٣]. والظاهر أن بلاد العراق لا تزال أقرب إلى السليقة العربية وأن النابغين فيها (أكثر من) غيرها ولقد وافق هذه البلاد أكثر من رجل فاضل جدير بلقب (الأديب) وقلت الجدير به في العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة إلى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد)[٤].

أثر الكاظمي تأثيرا مباشرة على النهضة الأدبية وهو خير أديب تفتخر به العروبة وتعتز به الضاد وقد لقب بشاعر (البداهة والارتجال) وبـ (شاعر العرب) وبـ (شاعر الكفاح الخالد)

وهي ألقاب تعكس لنا شخصيته الشعرية التي جمعت بين المتانة والفصاحة والبلاغة والجزالة وبين نزعته الوطنية التي كانت تدفعه إلى مقارعة الاستبداد والاستعمار. وكان شعره يمتاز بعذوبة الألفاظ

٢- ينظر معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث، ولهم ديوان مطبوع، د. جعفر صادق حمودي التميمي، ٢٩٦/١.
٣- عبد المحسن الكاظمي سيرة وشعر وفكر، سعاد محمد الزبيدي: ١.
٤- م. ن: ١.

http://abu.edu.iq

والمعاني وفصاحة البيان حتى صنف على رأس الشعراء أمثال (أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، والرصافي، والزهاوي) [٥]

المبحث الأول: مفهوم الوطنية في شعر عبد المحسن الكاظم

نعني بالوطنية جملة الخصائص المكونة لرؤية الفرد لأرض معينة وللمجموعة البشرية التي تشاركه الانتساب إليها وما يمازج تلك الرؤية من موقف عاطفي وجداني وتصورات للتعامل الإيجابي مع تلك الأرض وتلك المجموعة بما يكفل ازدهارها ومناعتها [٦].

وقد قال الكاظمي [٧]:

الـــــوطن الـــــروح ومـــــا أهلـــــــوه إلا الجســـــــد

الشاعر في البيت عدّ الوطن بمثابة الروح، اما المواطنون المنتسبون اليه فماهم الا جسد لهذا الوطن لاحياة لهم بدونه فهو الروح الجامعة لكل منتسب لارضه.

ورغم هجرته من وطنه ملتمسا النجاة بنفسه من جور الحكام فأن الشوق والحنين حيث يذكر وطنه المهجور نسمعه يقول [٨]:

وكـم قـال سـر نحـو مصـر تـرى المـنى وأنـــت علـــى كـــل الـــبلاد أمـــير
فقلـــت لهـــم والـــدمع مـــنى مطلـــق أســـير وقلـــبي في العـــراق أســـير

رغم ان مصر في زمان هجرة عبد المحسن الكاظمي كانت افضل حالا وكان لها دور بارز في السياسة العربية، والحياة فيها ربما تعطي الفرد استقراراً أكثر الا ان الشاعر يسافر اليها هرباً من عيون السلطات المحتلة لبلده وقلبه اسيراً لحب بلده العراق.

ونجد في قصيدته ذكراك (يا وطن الصبا) حنيناً وألماً بسبب فراقه [٩]:

روض الأمـــاني منـــك خضـــل يجـــنى كمـــا يشـــتار نحـــل[١٠]
في كـــــل يـــــوم مطلـــــع وهـــــلال آمـــــال يهـــــل
وإذا القلـــــوب تراســـــلت فصـــــوادق الآمـــــال رســـــل
ذكـــــراك يا وطـــــن الصـــــبا ذكـــــراي أرحـــــل أواحـــــل
وإذا خـــــلا قلـــــب فقلـــــ ـــــي مـــــن همومـــــك لـــــيس يخلـــــو
عهـــــدي بعرقـــــك لا يكـــــل عنـــــد الخطـــــوب ولا يفـــــل
أخبـــــت زنـــــودك أو وهـــــت تلـــــك الســـــواعد فهـــــي فتـــــل[١١]
أولاك أقـــــــــــوامي الألى مجـــــدا إن الأقـــــوام جلـــــوا

٥- عبد المحسن الكاظمي، سيرة حياة وفكرة الانسجام الثنائي بين الصورة والمعنى في شعره، د. سعاد محمد الزبيدي: ٧.
٦- ينظر أهم مظاهر الرومانيطيقية في الأدب العربي الحديث:
٧- ديوانه: ٢١٩، ط١، دمشق (المجموعة الأولى).
٨- ديوانه، ط١، دمشق (المجموعة الأولى): ٤٣
٩- م.ن: ٦٨٢.
١٠- شيء خضل: اي الرطب، والخضل: النبات الناعم، لسان العرب: ٢٠٨/١١، يشتار: شار العسل يشروه واشتاره يشتاره: اجتباه من خلاياه ومواضعه، لسان العرب: ٤٣٤/٤.
١١- الاخبات: الخشوع والتواضع، لسان العرب: ٣٧/٢، وهت الشيء وهتا: داسه دوسا شديداً، م.ن: ١٠٩/٢.

http://abu.edu.iq

مـــن فـــوق عاليـــة القبـــا ... ب علـــى ذرى الـــدنيا أطلـــوا
فهـــم مصـــابيح الهـــدى ... وبـــدورها إمـــا تجلـــوا

المخاطب في الابيات هو العراق، والشاعر بين ان وطنه عبارة عن روض من الاماني وان هذا الروض يزهو مخضراً، ومن يرومه يجد فيه الرحيق الذي يسهل جنيه لوفرته، وهذه صورة للخير الوفير. وان شروق الشمس وبزوغ القمركما في البيت الثاني اعلان عن يوم جديد ويشير الى ولادة امل. وان تراسل القلوب لهذه الاماني تصادق عليها رسل الامال المتتابعة.

والشاعر لايكاد يفارق ذكرى وطنه العراق والحنين اليه رغم ان اسباب الحياة ومشقتها تأخذ منه الكثير في دار الغربة.

ثم يستفهم مستنكراً (اخبت زنودك اوهت) وذلك لعلمه ان سواعد العراقيين (فتل) لاتفلها الخطوب، فان اهل بلد القباب العالية يطلون على الدنيا من فوق هذه القباب التي باتت رمزاً للشموخ والعزة والكرامة وكل ماهو خير.

وقد هاجر الكاظمي بعد أن ضاق ذرعا بما لقي فيه من فقر وعوز ولكنه لم ينس العراق قط طول تلك السنوات التي عاشها في مصر فقد كان دائم الحنين إلى الوطن والتشوق إلى ربوعه وتمنى العودة إليه والعيش فيه وقد بقى هذا الحنين إلى الوطن في نفس الكاظمي قويا يتزايد ويقوى ويعمق أثره على مرور الأيام ولم يخفف منه ذلك النجاح الذي أصابه الكاظمي في أرض مصر ولا تلك الشهرة العريضة التي حققها لنفسه فيها والحنين إلى الوطن والتشوق إليه ظاهرة بارزة جدا في شعر الكاظمي فلا تكاد تخلو قصيدة له من ذلك منذ دخوله مصر حتى وفاته فيها.

وإنك لتجد في حنينه هذا إلى الوطن عاطفة قوية جياشة وألماً ممضاً وإخلاصاً رائعاً لم تضعفه الأيام[١٢] وأسمعه يقول من قصيدته [١٣]:

وفي مصـــــر أراك وأنـــــت لاه ... وقلبـــك في العـــراق جـــوى يـــذوب
فكـــم وإلى م تنحـــب ثم تبكـــي ... ولا يجـــدي البكـــاء ولا النحيـــب

وكذلك نرى هزته وحنينه إلى وطنه وقد امتزج ذلك بالأسى والإشفاق على هذا الوطن الذي ما فتأت ذكرياته تخايل نفسه، فيعصف به الحنين إليه على حد قوله [١٤]:

أن يكـــن بات في الكنانـــة جســـمي ... ففـــؤادي بالكـــرخ ظـــل رهينـــا
أرفـــاق الصـــبا، ولـــيس حرامـــا ... أن أنادي رفـــاقي الأقـــدمينا

ويشده الحنين إلى بلاده ويتشوق إلى أرض الرافدين، حيث مراتع صباه وملاعب وجده وإليك قوله [١٥]:

ألا خـــبر مـــن ثنـــايا العـــراق ... يطلـــــــع أوزورة تطـــــــرق

١٢- ينظر شاعر العرب، د. محسن الغياض: ١٧٥.
١٣- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ٣٠٤.
١٤- ديوانه، ط / لندن: ١١٣.
١٥- ديوانه، ط / لندن: ٣٨.

http://abu.edu.iq

فالوطنية هي معنى الشعور بحب الوطن وتشتمل على ما يبثه الشاعر من حبّ وشوق[١٦]... والكاظمي يجعل من العراق أغلى أمنياته وهذا أعلى سمات الوطنية فأسمعه يقول[١٧]:

يا أحبائي والتعطف ديـن ... أيـن في الكـرخ عهـدنا المعهـود
لـو علمتم مـا حـل بـه ... لعلمتم أن خطبي من بعدكم الشديد
لست أبكي على انقضاء حياة ... ليس فيها لموطن تخليد
وطني! أنت كل ما أتمنى ... من حياة وأبتغي وأريد

ولبغداد مكانة خاصة في قلب شاعرنا الكاظمي تأمل في قصيدته التالية [١٨]:

إذا ما قيل بغداد كوها ... بلا عجة الحنين فقد كواني
ومن شاء الوقوف على اعتقادي ... فدين أول والكرخ ثاني
أحب الكرخ أسمع أو أراه ... وليس الكرخ يسمع أو يراني
وأهوى في الرصافة ما جنته ... وما أهوى سوى غرر المجاني[١٩]

ويعاهد بغداد على الوفاء لها والتفاني في سبيلها فيخاطبها على البعد[٢٠]:

أبغداد أبشري وثقي بأني ... بحبك سالك سبل التفاني
ولو أعطيت ملك الأرض طرا ... بغير هواك عيشي ما هناني

ونراه يحيي بغداد ويحن إليها متشوقا [٢١]:

أبغداد لا فاتك مني تحية ... يفسر منها ما أراد المفسر
حنينا إلى أرض حييت بتربها ... ويا ليتني في ذلك الترب أقبر

ويظهر من شعره إن له وطناً أكبر في الجغرافية من العراق وهو بذلك يريد للعرب بلادا موحدة لا حدود فيه ولا سدود كما يقول في هذه القصيدة [٢٢]:

إنما الشام والعراق ومصر ... أخوات وأن تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل ... ما رجاه لخير الراجونا
فتعود البشرى لنا تلوى بشرى ... نتغنى بذكرها طربينا
ليعيش كل طالب عربي ... وليقل عند دعوتي أمينا

يبوح الشاعر في هذه الابيات بوجه اخر من وجوه الوطنية ليشمل في امنياته البلاد العربية، ويرى ان الحدود وان كانت ضرورة لحفظ بعض المصالح ولكن يجب ان لاتكون حائلا دون تواصل شعوبها وتعاضدهم في سبيل مصلحة اكبر وطموح اوسع.

ويبدو أن للكاظمي نظرة للوطن تشمل الشرق من حيث الجغرافية فأسمع قوله [٢٣]:

١٦- ينظر معجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ٨٨٥/١.
١٧- ديوانه، ط / لندن: ١٥٥.
١٨- م.ن: ١١.
١٩- المجاني: من (المجن) وهو خلط الجد بالهزل، لسان العرب: ٤٠٠/١٣.
٢٠-
٢١- شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي، د. محسن غياض: ١٧٧.
٢٢- ديوانه، ط / لندن: ٤٢١.

http://abu.edu.iq

كأنما الشرق جسم والشعوب به ... أعضاء أن بايعت لا تنقض البيعا
إذا اشتكى عضوها الهندي من وجع ... رأيت في مصر عضوا يشتكي الوجعا
وأن تبينت في بغداد ذ شجن ... وجدت في جلق طرفا لها دمعا
وأن أناخ على الأفغان ذو جشع ... رأيت في فارس من يدفع الجشعا
أبا الشعوب أفق أن الشعوب أبت ... أن تلبس الذل حيث الذل قد نزعا

في الابيات يشبه الشاعر الشرق الاوسط بالجسم الواحد، وان دوله اعضاء لهذا الجسم، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وذكر بعض هذه الدول مثل الهند ومصر وبغداد وجلق وافغانستان وفارس. ثم يخاطب حكام هذه الدول ان افيقوا فان شعوب الشرق تأبى ان تلبس الذل. ولاشك ان هذه الابيات تعد صرخة مدوية للتحرر والاستقلال من التبعية.

المبحث الثاني: موقف الكاظمي من الأتراك العثمانيين

لقد ضاق المفكرون والأدباء بما كانوا يمارسه العثمانيون من تمييز بين الأتراك وغيرهم من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، فقد كانت أغلب تلك الشعوب ترى نفسها ليست أقل من الأتراك الحاكمين ما دام الإسلام هو الذي يوحد الشعوب التي تؤمن به [٢٤]، قال رب العزة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [٢٥] لا فضل لأحدهم على الآخر لأن التقوى هي ميزان التفاضل فيما بينهم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [٢٦].

عندما أطل الدستور العثماني من الاستانة معلنا بداية عهد جديد يحمل تباشير الحرية [٢٧]. وعبد المحسن الكاظمي شاعر الارتجال يعد في طليعة الطبقة الأولى من شعراء هذا العصر ومن المهنئين لشعبه بإعلان الدستور العثماني ظنا منه أن الدستور فتح بابا للحرية وقد أنشد [٢٨]:

لواك على كل المنازل خافق ... وذكرك في كل المحافل عابق [٢٩]
بكل فم تحلو وفي كل خاطر ... فلفظك سيال ومعناك رائق
صبونا لمرآك البديع كما صبا ... لمعشوقه عند الزيارة عاشق
ولما تبين إلا وهذا مصافح ... ترنحه البشرى وهذا معانق [٣٠]
طلعت طلوع الفجر ما فيك ريبة ... وجئت كما جاء الربيع المغادق

فقد كان الكاظمي من الذين دعو إلى الثورة على الأتراك ومحاربتهم والتخلص من نيرهم وقد كرر دعوته هذه في قصائد عدة وحض قومه على إنتهاز فرصة الحرب العالمية الأولى للقيام بهذه الثورة وحذر من فواتها [٣١] ومن ذلك قوله [٣٢]:

٢٣- الكاظمي شاعر الكفاح العربي (الحلقة الثانية): ٩٠.
٢٤- مجلة صدى كربلاء العدد: ٩/١٠، مقالة أ.د. عبود جودي الحلي، كلية التربية، جامعة كربلاء.
٢٥- الحجرات: ٨.
٢٦- الحجرات: ١٢.
٢٧- ينظر دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان عبد الهادي آل طعمة: ٥٧.
٢٨- ديوانه، ط / لندن: ٤٠٥.
٢٩- عابق: من عبق به عبقا اي لزمه، لزق به، لسان العرب: ٢٣٤/١٠.
٣٠- المغادق: من الغدق: اي المطر الكثير العام، م.ن: ٢٨٢/١٠.
٣١- ينظر شاعر العرب، د. محسن غياض: ١٢٦.

http://abu.edu.iq

كـــم فرصـــة ســـنحت فكفكفهـــا ... عـــن نيلهـــا الإهمـــال والكســـل
واليـــوم أحســـنها يمـــر بنـــا ... فلـــئن تفـــت فالثكـــل والهبـــل
ولـــــئن تغمنـــــا بوادرهـــــا ... فهنالـــــك الإســـــعاد والنفـــــل

وقد سخر من وعود الأتراك للعرب لكسبهم إلى جانبهم فقال محذرا [٣٣]:

قـــال الأعـــادي ســـوف ننصـــفكم ... كـــذبوا فكـــم وعـــدوا وكـــم مطلـــوا[٣٤]
لم ينهجـــــوا للعـــــدل منهجـــــه ... كـــــلا ولا عـــــن ظلمهـــــم عـــــدلوا
لا تـــــذهبن برشـــــدكم عمـــــدة ... تلـــــك الوعـــــود بروقهـــــا ضـــــلل
خوضـــوا غمـــار الحـــرب وابتـــدروا ... تلـــك البحـــار خضـــمها وشـــلوا[٣٥]
تخلـــي ميـــادين النـــزال لكـــم ... إن قيـــل أن العـــرب قـــد نزلـــوا

وعندما انطلقت الثورة العربية فعلا سنة ١٩١٦م بقيادة الشريف الحسين بن علي كان الكاظمي من أكبر المؤيدين لها وأشدهم حماسا وتعددت قصائده الثورية التي كانت تنشر في صفوف الثوار في الجبهات التي يحاربون بها وأشاد بهم وحضهم على مواصلة القتال والصمود وتذكيرهم بمظالم الأتراك واستبدادهم ثم مدحا لقادة الثورة وثناء عليهم وقد اتصل الكاظمي بالشريف حسين وابنائه عبد الله وفيصل وعلي وله عدة قصائد في مدح الشريف حسين والإشادة بفضله ومنها قوله [٣٦]:

مـــن شـــاء أن يكســـي العلـــى فلينـــتم ... للخمســـة الأعلـــين مـــن أهـــل الكســـا
هـــذا الحســـين وذاك أول مـــن دعـــا ... والـــرأس أولى بالعـــلا أن تراســـا
ذو عزمـــة جعـــل الإلـــه شـــبلتها ... نقمـــا تصـــب علـــى الطغـــاة وأبؤســـا

ولعل السبب وراء وقوف الشاعر وبقية أدباء العراق الذين كانوا يوافقوه الرأي ضد الدولة العثمانية وتفشي مظاهر التفسخ في الولايات العراقية وشيوع الرشوة إذ كانت أعلى المناصب والوظائف معرضة للثراء من ضمنها الولاية نفسها وكان هذا يستدعي صراعا على السلطة فتشترى ذمم الناس وضمائرهم بالأموال التي تجبى باسم الضرائب ولم تكن الحياة الثقافية أحسن حالا من الصورة الاجتماعية [٣٧]، وما يهمنا من هذا هو الشاعر وموقفه الرافض لهذه الحالة السيئة فلا عجبا نراه يبايع قائد الثورة العربية ويسميه ملك العرب نحو قوله [٣٨]:

مليـــك وهـــل للعـــرب مثـــل حســـينها ... مليـــــك تـــــوالى منـــــه وأب بـــــر
أحيـــي رجـــاء العـــرب مـــن بعـــد موتـــه ... أســـيفك أمضـــى أم عزيمتـــك البكـــر

٣٢- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ١٥.
٣٣- م.ن: ١٤٧.
٣٤- المطل: التسويف والمدافعة، لسان العرب: ١١ /٦٢٤.
٣٥- الوشل: الماء القليل، م.ن: ١١/٧٢٥.
٣٦- ديوانه (المجموعة الثانية)، ط / مصر: ٢٧٨.
٣٧- ينظر الأدب العربي الحديث، د. سالم أحمد الحمداني: ٢٣.
٣٨- ديوانه (المجموعة الثانية)، ط / مصر: ٢٧٨.

http://abu.edu.iq

المبحث الثالث: موقف الكاظمي من الاحتلال البريطاني

الاحتلال البريطاني للعراق ومنذ بداية أمره قد صدم الناس وأصابهم بالذهول وتركهم صرعى يتخبطون في بيداء الحياة لا يدرون ماذا يفعلون. وقد ظهر أثر ذلك جليا على الشعراء أنفسهم ذلك لأن من نظم منهم في التنديد بهذا الاحتلال قلة قليلة لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحد، فكان هذا الاحتلال قد ألجم أعنتهم وأخرس أقلامهم ولكن ما نظم من شعر في هذه الفترة أن دل على شيء فأنما يدل على حيوية هذا الشعب الذي لم يستنم على ضيم، ولقد ناصر هذا الشعر قضية العراق العادلة وانبرى يدافع عن أحقيته في الحرية والاستقلال ويكشف عن ألاعيب الاستعمار وخداعه المتواصل وعلى هذه الصورة.

ويوم بعد يوم بدأ الشك في وعود الحلفاء يتسرب إلى نفوس الناس جميعا واتضح لديهم أن هؤلاء الحلفاء ما اطلقوا هذه البلاد من الأسر إلا لكي يأسروها هم بأنفسهم [٣٩].

ولقد وضحت هذه الظاهرة في شعر الكاظمي فأنت ترى فيه دلالات قوية على مثل هذا الشك الذي أخذ يزحف إلى قلبه ووجدانه قليلا قليلا [٤٠]:

قيل للعرب في الورى حلفاء ... يصدق الوعد منهم والوعيد
حلفوا بالعلى لنا وحلفنا ... ليس عن سنة الوفاء نحيد
أتراهم والعهد يوثق منا ... ربطتهم مواقف وعهود
أم تراهم والوعد ينجز منا ... أنجزت منهم إلينا وعود
صدق القائلون لكن أراني ... لست أدري أيا يريد المريد
فإذا كان فالمحالف بأس ... وإذا كان فالمحالف جود

ومن مثل هذه المعاني – معاني الشك نستطيع أن نجد أمثلة أخرى في أكثر من موضع في قصائده التي نظمها في هذا الشأن.

ولما كان الشاعر مدركا تمام الإدراك لعدم وفاء الإنكليز لوعودهم انقلب هذا الشك عنده إلى يقين إذ أدرك أن الحلفاء قد لحسوا وعودهم وكشفوا عن نواياهم الاستعمارية وأنهم ما جاءوا إلى هذه البلاد إلا لكي يستعبدوها هم بدلا من الأتراك العثمانيين [٤١].

حينئذ اندفع الشاعر إلى نظم القصائد التي تذكر الحلفاء بمواثيقهم ويعرب عن مماطلتهم وتسويفهم ويؤكد أحقية الشعب في أرضهم وممتلكاتهم ويفند مزاعمهم التي اختلقوها ومعاذيرهم التي راحوا يعلنون عنها للحيلولة بين الشعب وبين تحقيق إرادتهم في الحرية والاستقلال. وقد جاءت هذه القصائد كلها قوية في معانيها شريفة في مضمونها الإنساني كما يغلب على أسلوبها طابع من الجدل والمحاججة. فلنستمع إليه وهو يقول [٤٢]:

وإذا سألت فلم أكن ... ألقى سوى التسويف ردا
إن قلت أين الوديا ... من قد حلفت بأن تودا
قال السياسة تقتضي ... أن لا أراعي اليوم عهدا

٣٩- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، رسالة دكتوراه في الآداب، د. رؤوف الواعظ: ٦٣.
٤٠- ديوانه، ط / لندن: ١٤٩.
٤١- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٦٤.
٤٢- ديوانه، ط / لندن: ١٩٤.

http://abu.edu.iq

ويشير الشاعر في قصيدته (مثنى)[٤٣] إلى هذه المعاني نفسها، ويعرب عن شكه الذي استحالهُ إلى يقين في وعود الحلفاء في قوله:

كل مساء حادث ... يقيمنا ويقعد
وكل صبح نبأ ... يسرنا ويكمد
هل صح فينا خبر ... ما لم يصح السند
هل عند غير النازلا ... ت الخبر المؤكد
أخاف يا صبح المنى ... يغشاك ليل أربد[٤٤]
وأن يقال مطلقو ... نا من عقال قيدوا
كيف تحل عقدة ... حلالها المعقد
قيل سلام ثابت ... بين الورى يوطد
هل يثبت السلم على ... مطامع يستند

فهذه المعاني توضح سخريته اللاذعة من وعود الإنكليز والتشكك في قيمة إدعاءاتهم وأقوالهم ويتساءل هذا التساؤل القوي المليء بالسخرية والتهكم في مثل هذا التعبير الجميل:

كيف تحل عقد ... حلالها المعقد

فالإنكليز الذين بشروا بالسلام وبالحرية والاستقلال والذين أعلنوا أكثر من مرة أنهم ما جاءوا فاتحين ولا قاهرين وإنما منقذون ومحررون. وقد صاروا اليوم وبالا على هذا الوطن وحريته واستقلاله وما دعواهم إلى التحرير من رق الأتراك إلا بمثابة المخدر لهم ولما انحاز الناس إلى جانبهم وقاتلوا معهم بل انتصروا في الحرب بفضلهم عادوا فانقلبوا عليهم وغدروا بهم وأمعنوا في سلوك المراوغة والمخاتلة معهم[٤٥]، ويشير الشاعر إلى سياسة المكر والخداع هذه فيقول[٤٦]:

لست أشكو إلا الآلى عاهدوها ... ثم خانوا العهود بعد قليل
نهمة في العدى تعد قرانا ... من مباح المشروب والمأكول[٤٧]
لم يجيء أرضنا المعادون إلا ... ذهبوا بالسمين والمهزول
أتقنوا الكيد والخداع ونالوا ... حيث جاروا شهادة من عذول
كل ضرب لغشنا جربوه ... من ضروب التغرير والتضليل
يشتكي الظالمون للسيف منا ... أن شكونا ظلامنا للجليل
وعجيب من ظالم مستبد ... قد شآنا بين الورى بالعويل
من رأى والعجيب من الناس كثر ... قاتلا يشتكي من المقتول

٤٣- م.ن: ١٧٦.
٤٤- اربد: من الربدة اي الغبرة، لسان العرب: ١٧٠/٣.
٤٥- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٦٥.
٤٦- ديوانه، ط / لندن: ٤١٣.
٤٧- النهمة: بلوغ الهمة في الشيء، لسان العرب: ٥٩٣/١٢.

http://abu.edu.iq

وبعدها يزحف الهم والحزم على قلب الشاعر ووجدانه بسبب سياسة المكر والخداع وسلوك المراوغة والمخاتلة من قبل الإنكليز نجد الشاعر قد كثرت في شعره الدعوة إلى الحرب وطرد المستعمرين الدخلاء من وطنهم كما في قولهم [٤٨]:

ليس بمجد عمل ... ليس لنا فيه يد
وليس ثم مقصد ... إن قيل تم المقصد
يا قوم أن تهاونوا ... فحركم مستعبد
من نام عن أوطانه ... فذاك حميت يلحد[٤٩]
ومن يمت دون حما ... ه فهو حي يخمد
الوطن الروح وما ... أهلوه إلا الجسد
وكيف يسهو بدن ... عن روحه ويرقد
مجدي وما مجدي إلا ... الوطن الممجد

وهكذا يؤكد هذا المعنى قوله [٥٠]:

لا تجعلوا أوطانكم وبلادكم ... مغدى بزاة أو مراح نسور[٥١]
لا تتركوا التأخير يعبث بينكم ... النجح آفته من التأخير
سيروا بأقدام الجسور ولا تنوا ... خاب الجبان وفاز كل جسور[٥٢]

ويمضي الشاعر على حدث نيل الاستقلال بالقوة لأن النصر لا يتحقق إلا لمن أرادوه وصمموا على نيله بالعزيمة الصادقة والإيمان الراسخ وإلى هذا يشير في قوله [٥٣]:

أني رأيت الأمر رأي مجرب ... وشعرت بالحدثان أي شعور
فعلمت أن أولى العزيمة أن سعوا ... قدروا على ما ليس بالمقدور
لو أن لي عينا تطلوع عزمتي ... لغوا إلى الشعرى العبور عبوري
ولقمت للأوطان بالغرض الذي ... هو فرش كل مهند مطرور[٥٤]
أأعيش والأوطان ليس حرة ... للموت أولى من حياة بور

وعلى هذه الصورة نجد شعر الكاظمي ثورة على الظلم والحق أن هذا الشعر يمثل روحه التي لا تصبر على ضيم، ولهذا كان أثر هذا الانعكاس قويا في شعره شريفا في مقصده مدعوما بالحجة والمنطق وإيراد البراهين وقد كانت دعوته الصارخة هذه ودعوات غيره من الشعراء والزعماء والساسة قد ألهبت الحماسة في قلوب الناس إذ اندفعوا في قوة وإيمان ثابت لا يتزعزع إلى الثورة في وجوه الغاصبين، إذ لم تمر مدة طويلة

٤٨- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ٢١٩.
٤٩- يلحد: اي مال وعدل، لسان العرب: ٣١٤/٥.
٥٠- م.ن: ٢٢٩ - ٢٣٠.
٥١- بزاة: جمع بازي: وهو من الطيور الجوارح، لسان العرب: ٣١٤/٥، المرج: الفضاء، لسان العرب: ٣٦٤/٢.
٥٢- التواني في الامر: التقصير فيه، م.ن: ٩٨/٥.
٥٣- الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٧٠.
٥٤- مهند مطرور: اي صقيل، لسان العرب: ٥٠٠/٤.

http://abu.edu.iq

حتى تركت جموع الجماهير في ثورة (١٩٢٠م) في العراق فكان الكاظمي من الشعراء الملهمين للثوار وقد لعب شعره دورا في هذه الثورة[٥٥].

الخاتمة

نستخلص من البحث ما يلي:

- إنَّ الشاعر عبد المحسن الكاظمي كان صاحب موقف ضد السلطة التركية وضد الاحتلال البريطاني لصالح الشعب العراقي خاصة والعرب عامة والعالم الإسلامي بشكل أشمل.
- انتزاع الشاعر ألقاب تاريخية تعكس مواقفه الجادة للقضايا التي تصدى لها ومن هذه الألقاب (شاعر البداهة والارتجال) و (شاعر العرب) و (شاعر الكفاح الخالد).
- سجل الكاظمي من خلال شعره التقلبات السياسية فكان شعره بحق سجل يعكس الحياة السياسية والاجتماعية في عصره فجاء شعره يعكس لنا شخصيته الشعرية التي جمعت بين المتانة والفصاحة والبلاغة والجزالة وبين نزعته الوطنية التي كانت تدفعه لمقارعة الاستبداد والاستعمار.

المصادر والمراجع

١. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمداني و د. فائق مصطفى أحمد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الكتب، بغداد.
٢. أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث، فؤاد القرقون، سلسلة (حوار الثقافات والحضارات)، الدار العربية للكتاب.
٣. دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان هادي آل طعمة، دار البيان العربي، ط، ١٩٩٣م، بيروت.
٤. ديوان الكاظمي (المجموعة الأولى)، دمشق، ١٩٤٠.
٥. ديوان الكاظمي (المجموعة الثانية)، مصر، ١٩٤٨.
٦. شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي حياته وشعره، د. محسن غياض، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٧. عبد المحسن الكاظمي سيرة وشعر وفكر، سعاد محمد الزبيدي، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩م.
٨. الكاظمي شاعر الكفاح العربي، الحلقة الثالثة، عبد الرحيم محمد علي، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف.
٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، ط١، دار الصادر – بيروت، (د.ت).
١٠. معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث، ولهم ديوان مطبوع، الجزء الأول، د. جعفر صادق حمود التميمي.

٥٥- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٧٠.

http://abu.edu.iq

١١. معجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، مدلد (٢)، ص٨٨٥، ط٢، ١٩٩٩م، بيروت.

الأطـاريح والرسائـل الجامعية:

١- الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، د. رؤوف الواعظ، دار الحرية، ط، ١٩٧٤م، بغداد.

٢- عبد المحسن الكاظمي سيرة حياة وفكرة الانسجام الثنائي بين الصورة والمعنى في شعره، سعاد محمد الزبيدي، د. جلال الخياط، رسالة جامعية، ٢٠٠١م.

المجلات:

- مجلة صدى كربلاء العدد (١٠)، مقالة أ.د. عبود جودي الحلي، كلية التربية، جامعة كربلاء.

http://abu.edu.iq